مكتبة المقتطف

١ — شرق وغرب

للاستاذ عبد المحمود طه — ١٨١ صفحة من القطع المتوسط ، خلاة بصور من رسامي الاستاذين عبد العزيز خالد درويش ومحمد سليم شوقي — مطبعة شركة فن الطباعة

في الوقت الذي تبلغ عضمة الخير على قوى الشر مبلغ الثورة التي يتبدد أمام صوتها المدوّي عواء الذئاب يعلو صوت الشعر من قيثارة عذبة الرنين ليسجّل للشرق أمجاده غناة ، وليحدو أبناءه في جهادهم خطوة خطوة في كل ناحية هب فيها صوت مناضل عن حقه . في هذا الوقت الطامس يصدر ديوان صديقي الشاعر الأستاذ علي محمود طه « شرق وغرب » بعد أن جاب « الملاّح » البحار .

فأما الجانب الشرقي فهو الصوت المرفوع ... الصوت الذي أخذ من نداء الحق قوته ومن هتاف الحرية جلاءه ومن روعة الإيمان جماله ليهيب بأبناء الشرق قائلاً :

دعوها تُغنّي واتركوه خيالا ... فما يعرف الحقَّ إلاّ النضالا
بني الشرق ماذا وراء الوعود ... لطلٌ يمينـاً وزرنو شمالا
وما حكمة الصمت في عالم ... تضج المطامع فيه اقتتالا

ولبصرخ في وجه الغرب بعد أن بلا سياسته وتكشف له خداعه :

خدعنا ، خدعنا ، وانتبهنا خسبنا ... لقد ملّت الأسماع فيك البالي

ثم يلتفت الشرق مرة أخرى :

يا شرق ، يا شرق لا تخدعك دعوتهم ... واقبض يداً ، فحديث الحق أوحام
أكل غير عيون الزيت دافقة ... من قلبك الغض يجريهن مجّام
وكان غير أنابيب يحوط بها ... ضلوع صدرك نهار وظلام
قد قسموك مطارات وما عمروا ... إلاّ لحرب لها في الكون إضرام

وليتردّد بين جنبات الوادي يناديني :

أخي ! وكلانا في الأسار مكبّلٌ عجز على الأشواك ثقل حديد
إذا لم نحرروها من التصميم وحدة ذهبنا بشمل في الحياة بديد

وعلى هذا الوتر وبهذه الروح وفي هذا النفس القومي والديباجة المشرقة يقف الشاعر الذي طالما نعم قراءه بالنغم الحالم الرائع في قصائد يحيي بها فلسطين واندونيسيا ومصر ، ويستقبل بها المنفي والقاوقجي وعبد الكريم ويذكر البطولة في شهداء هذه الأوطان جميعاً .

على أن شاعرنا لم يشأ أن يحرم عرائس الشعر الذي عودهنّ الطواف في عالمهنّ البعيد عن ضجيج الحياة بأطيافها وعجيج المعترك الانساني برغباته النشوم وأحقاده ، لم يشأ أن يحرمهنّ الغناء من جلهنّ ، ومن اللائي لا يعرفن شرقاً ولا غرباً ، لأنهنّ فوق البشرية بما يدعون اليه في عالمهنّ الذي لا يدين إلاّ بالحب ولا يتردد في سمائه غير أطياف الحب فهو يردد في الجانب الغربي من ديوانه أصداء ما بعثت عرائس الشعر في روحه وفي قلبه من ذكريات بثيت له عن رحلة في ربوع الغرب فهو يقف :

عرائس الشعر قد طار الحبيب ، وفي عينيه صهد وتعذيب واضناء
آب المغامر من دنيا صناعته أما له راحة منها وإغفاء ؟

ويقف في لذة قراء يتأمل :

البحر والحور فيه سابحة روّى بها بات يحلم القمر
ليبدع في تصوير السابحات وقد استلهمن ضوء القمر فوق صدر البحر
أقسمن لا يلتحفن شاطئه وإن تراءى بمائه الدرر
حتى يرين وهو فضة ذهب تمازج الليل فيه والسحر

وإذا كانت « أصوات الشرق » قد طغت في هذا الديوان على « أصداء الغرب » فإن هذه القلة قد زخرت بصور فتّانة في الوصف كقصائد « راكبة الدراجة » و « الوردة الصفراء » و « أندلسية » وفي التعبير والتأمل كقصائد « ألحان وأشعار » و « فلسفة وخيال » و « على حاجز السفينة » وهي صور جمالها في وحدتها ، وكلها من هذا الينبوع الفياض

— ٢ حديث الصومعة

المرحوم ابراهيم الدباغ — ١٤٨ صفحة من القطع الوسط — نشرت مكتبة الظاهر اخوان في يافا فلسطين

منذ عام طلب إليّ إلقاء كلمة عن الشاعر الفلسطيني المرحوم ابراهيم الدباغ بمناسبة ذكرى العام الأول لوفاته وكان مما قلته يومذاك أن هذا الشاعر كان أسير نزعتين قويتين غالبتين

على عصره لا ذنب له في جنايتها : نزعة التقليد فهو ما يزال يحاكي الشعراء الذين التزموا الثلاثي القطبي، ونزعة الاندماج في مجالس العظماء من ناحية أخرى كتديم مساير لا كفنان شاعر ... وذلت إنه كان في استطاعة هذا الشاعر وقد وُهب مادة من السخرية لا تتغلب أن يستغلها في السخرية بزمانه وبكثير من شخوص ذلك الزمان فيعطي الأدب لوناً جديداً من الفن . ولكنه لم يفعل ذلك لأنه كان كالطائر المتنقل بين أفنان الزهر فتنته الألوان وصرفه الشذى عن أن ينظر الى الأشواك ، بل قل إن جبله هو الذي شغله عن ذلك .

ذكرت هذا بمناسبة الكتاب الجديد الذي صدر أخيراً متضمناً رسائل الشاعر الضباغ في الأدب والفكاهة والنقد والفلسفة وهي رسائل كان يبعث بها من مصر الى ابن أخيه في بغداد الأستاذ مصطفى الضباغ خلال عشرين سنة نشر منها ثلاث عشرة رسالة هي لون من أدبه النثري أطلق فيها متخلصاً من القيود التي كان يعانيها في الشعر واستطاع إعلان رأيه لابن أخيه في كثير من نواحي الفكر في حرية وطلاقة تساعد من يدرس أدب الشاعر بعد ذلك على تقصي الكثير من معالم نفسيته ، وهي خدمة جلية من الأستاذ مصطفى الضباغ للتاريخ الأدبي الى جانب العناية بنشر آثار عمه . ولعله يشفع ذلك بنشر الكثير من أخبار هذا الشاعر ونوادره فهي متممة لذلك ولأن هذه الناحية هي أبرز نواحي الضباغ الذي كان أنس جيل . ومن هذه النوادر يتكشف للأجيال اللاحقة دراسة هذا الشاعر أيضاً .

٣ — عاشقة الليل

الكوليرة العراقية لنازك الملائكة — ١٣٩ صفحة من القطع الوسط — مطبعة الزمان في بغداد

في العراق الآن نهضة شعرية جديدة سريعة الخطى قوية الاجنحة ترتاد آفاق النفس وتتغلغل في أغوارها بعيدة عن عالم المحسوسات الذي ظل الشعر هناك الى وقت قريب يجول فيه ، وهي نهضة تبشر بأمل واسع .

ومما يدعو الى الإعجاب أن يكون باكورة هذه النهضة الحديثة والوثبة الجريئة ديوان لشاعرة مشرقة الأسلوب رقيقة النغم مرهفة الحس متوقدة الشعور هي الآنسة نازك الملائكة، وهي شاعرة استوت ملكتها الشاعرية، ولا عجب، فهي كما علمت من بيت شعر منه شعراء كثيرون فوالدها شاعران وأختها شاعرة وكذلك أخوها .

ولنستمع الى شاعرتنا في ثورتها على الشمس فهي تهتف لليل الذي عشقته :

الليل ألحان الحياة وشعرها ومطاف آلهة الجمال المليم
تهفو عليه النفس غير حبيسة وتحلق الارواح فوق الأنجم

كم سرت تحت ظلامه ونجومه فنسيت أحزان الوجود المظلم
وعلى قميصي لطخ إلهي العدى تلقيه قافلة النجوم على فمي !

ثم تقول في نهاية هذه الثورة وختام هذا التمرد :

أضواؤك المتراقصات جميعها يا شمس أضعف من طيب تمردي
وجنون نارك لن يزق نغمتي ما دام قيثاري المغرد في يدي
فاذا ضمرت الأرض فلتتذكري إني سأحلي من ضيائك معبدي
وسأدفن الماضي الذي جللته بجحيم الليل الجميل على غدي !

وما أجمل تصويرها لنفسها في قصيدتها « عاشقة الليل » حيث تقول :

يا ظلام الليل يا طاوي أحزان القلوب أنظر الآن فهذا شبح بادي الشحوب
جاء يسعى تحت أستارك كالطيف الغريب حاملاً في كفه العود يغني للغيوب
ليس يعنيه سكون الليل في وادي الكثيب
هو يا ليل . فتاة . عهد الوادي سُراها أقبل الليل عليها فأفاقت مقلتاها
ومضت تستقبل الوادي بألحان أساها ليت آفاقك تدري فيم تغني مهجتاها
آه يا ليل ! ويا ليتك تدري ما مُناها

وفي قصيدتها « صياط وأصداء » تكشف عن حساسيتها المرهفة وتصرخ : الحس في هذا الوجود جريمة لا تغتفر » وهذا الارهاف هو الذي يثير في نفسها هذا اللون من الحزن العميق فهي كما تقول في قصيدة السمر « أبداً أحلم بالفجر فلا ألقى النهارا » على أني أدعو الشاعرة الى أن تستمع الى صدى حديثها في قصيدة « جزيرة الوحي » :

العود ، والشعر ، والأماني شاعرتي قصدحي وزيدي
قد ضحك السمر واستنامت عواصف البأس والنكود
وانقلب اليأس بشريات وأمنيات . . . فأي عيد . . . !

ان هذا الديوان أصداء روح محترقة وأنات قلب بشري يتردد فيه صدى صرخات مكبوتة تتعبر عنها صاحبته أصدق تعبير في لغة بعيدة عن لغة الشعر الملفق لأنها لغة الشعر الحي واني لاعتبر صاحبة هذا الشعر أبرز شاعرة عربية عرفت معنى الشاعرية وتلقت أجمل رسالاتها وأروعها

حسن كامل الصيرفي

خواطر الحياة

ديوان شعر للسيد محمد الخضر حسين

الأستاذ الجليل الشيخ السيد محمد الخضر حسين رئيس جمعية الهداية الاسلامية ، ورئيس جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا ، ورئيس تحرير مجلة لواء الاسلام ، وعضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، والاستاذ سابقاً بكلية أصول الدين الأزهرية ، وهو رجل في العقد السابع من عمره ، وقد شاب فيه مباركة في سبيل القضايا العربية والاسلامية ، بارك الله له في حياته .

و « خواطر الحياة » ديوان لطيف الحجم ، يقع فيما يزيد عن مائة وسبعين صفحة ، وقد عني بنشره الأستاذ الكبير محب الدين الخطيب ، وقد تضمن الديوان ما نظم السيد الخضر من قرائد الشعر مرتباً على حروف الهجاء ، وقد علّق على الديوان بشرح لطيف وتفسير وجيز ، الأستاذ الجليل محمد علي النجار الأستاذ بكلية اللغة العربية .

ويمتاز شعر أستاذنا الخضر بميزات كثيرة ، أذكر منها قصر المقطوعات وإيجازها ، فأغلب قطعه لا تتجاوز أبياتاً تعد على أصابع اليد الواحدة .

والسر في قصر مقطوعات الشاعر أنه بطبيعته يميل الى الاختصار والإيجاز ، حتى في حديثه وإشاراته وحركاته ، فتكفيه الدمعة عن الكلمة ، والإشارة عن العبارة ، ويضمن الألفاظ القليلة ما طوّعه الله له من المعاني الكثيرة ، وتلك براعة لا تتيسر إلاّ لقليل .

ويمتاز شعره أيضاً بشرف الغرض الذي يقصده ، وكرم الغاية التي يريدها ، فإذا وقف أناس همهم على اللهو واللعب ، والغزل والحرب ، والتشبيب بالنساء ، وتصوير بلال الأهواء ، وقف السيد الجليل شعره على ما يشغل أذهان العالمين ، ويقلق بال النابهين ، فهو يتحدث عن محنة فلسطين وغيرها من أوطان العروبة ، ويجدّد مجالات الإسلام الأولى ، ويفحص كثيراً من أمراضنا الاجتماعية ، ويصف لها العلاج ، ويتحدث عن الصداقة والأصدقاء ، وفضل اللغة العربية ، والانتصاف لعلم الشريعة ، والوفاء في العسر واليسر ، ويحيي مواسم الدين بأبياته الرقيقة ، ويصف مشاهداته في الحجاز والشام وطنجة وتونس ومصر ، وغير ذلك من جليل المسائل وخطير الشؤون ...

ويمتاز أيضاً بجودة السبك وخولة التراكيب ، ولعلّ هذا هو السر في أننا نشاهد

يحيي لنا في شعره كلمات كانت مهجورة أو مضمورة ، فهو يستعمل مثلاً كلمة « صاعروا » بمعنى أمالوا وجوههم عن النظر إلى الناس تكبراً ، وذلك في قوله :

ما لليهود استوطنوك وصاعروا بعد الهوان خدودهم خيلاء ؟!

ويستعمل كلمة « راقة » لآلة الكتابة المخترعة حديثاً ، وذلك في قوله :

فكأن أنت زدت في الديوان راقة تخط في الطرس خط البرق لو كتبا

ويستعمل كلمة « صعاد » وهي جمع « صَعْدة » والصعدة القناة المستوية ، وهو يريد الرماح في قوله :

أداروا من ملاعبها رحيقاً وهزّوا من جوالبها صعادا

ويستعمل كلمة « القتير » ومعناها : الشيب ، في قوله :

مضى عهد الشبيبة في صفاء ورنّق كأسنا عهدُ القتير

ويستعمل كلمة « رابغ » بمعنى ناعم ، وذلك في قوله :

تقلدتَ في صدر الحياة عزيمة وباكرت تجني العلم والعيش رابغ

ويستعمل كلمة « حان » وهو جمع أحن ، في قوله :

فأشياع الضلال اليوم صالوا بألسنة وأقوال حِسان !

ويستعمل كلمة « الرتيمة » وهي خيط يعقد في الأصبع ، ليتذكر به الإنسان ما يخشى نسيانه ، في قوله :

هي « الرتيمة » في قلل مبدعها وهل يغيب الستا عن طلعة الأفق ؟

وهذه الكلمة تذكرنا بقول الأول :

اذا لم تكن حاجاتنا في صدوركم فليس بمغنٍ عنك عقد الرتائم !

ويستعمل كلمة « أفوك » بمعنى كاذب في قوله :

زعمات وسواس تخبطهم فما لبثوا أن اغترّوا برجي أفوك

ويستعمل كلمة « طباب » بمعنى دواء يطب به في قوله :

* طباب الشرق في خطرات شهم وجمر حماسة في القلب ذاكي ؟

وتلك لعمري يد مشكورة ، فإن مفردات اللغة كنوز مجهولة ، ولو أن كل أديب أو

شاعر جعل من همه أن يحيي لنا مجموعة من الألفاظ المهجورة التي نحتاج إليها وأهاها بالتكرار ، لكسبت اللغة كسباً عظيماً .

ويمتاز الديوان بأنه لا يعطي قارئه معانيه عند القراءة العاجلة بل لا بد فيه من التأني والتريث ، وصاحبه لا يتلاعب بالألفاظ ، ولا يألف المجازات البعيدة ، ولا الكنايات المستكرهة ، ولا الاستعارات المستوحشة ، وهو يؤثر الحقيقة على المجاز في كثير من الأحيان وإن كان يأتي في سهولة بالتعبير البليغ أو التمثيل الرائع كقوله :

كأن شعاع الشمس ينساب في الثرى ويطوي بساطاً مده الليل أسودا

منا حجة يسطو على قلب جاحد فيأخذه بعد الضلال الى الهدى !

ويعتاد الديوان شيوع أبيات الحكم والأمثال فيه ، ولا يعد هذا عجيباً من عالم جليل وقف حياته لخدمة الدين والعلم . والشيخ أحياناً يستجيب لنداء العاطفة وهتاف الوجدان وله أبيات في النسيب والهوى قليلة ولكنها جيدة ، ومنها قوله :

أتنسمت الصبا من « حاجر » صادياً الأبرق أم شمت بروقه؟

عج بنا نقف بلقيا جيرة ضربوا الخيم به نفساً مشوقه

وإذا ما طاقنا بطء السُّرى عن صبوح الوصل أدركنا غبوقه

ها هنا مرتعهم ، خذ بيدي ودع الأبرق في الروض طليقه

طال بي البين الى أن أطفأت نظرة من ساكني البان حريقه

يا بدوراً حسنها ابتز النهى وهواها مد في القلب عروقه

عادت الأيام من هجرانكم لي خصيماً ، بعد أن كانت صديقه

من دجى يقضبه جفني أرقاً وضحى يلبسه الليل غسوقه

وكفى جسمي نحولاً أنه تخطاه كالطيف خيالا ، لا حقيقه

لم أضع للود عهداً ، أفا . حان أن يرعى الأخلاء حقوقه ؟!

وهي كما ترى نفثة مستعرة برقدة العاطفة ولظى الوجدان ، وخاصة إذا صدرت من مثل صاحبها . والديوان في إيجاز صورة لشعر العالم الوقور البليغ ولا شك أنه سيحتل مكانه المرموق من المكتبة العربية .

عمر الشرباصي

المدرس بالأزهر الشريف

٨٩ شهراً في المنفى

للاستاذ محمود حسني العرابي

لو أمكن صنع رجال من الفولاذ لكان على رأس هؤلاء الاستاذ محمود حسني العرابي عزيمة وصلابة ورجولة . . . فالنضال والتحدي طبيعة في نفسه . . نضال الطغيان وتحدي أية قوة تقف في سبيل هذا النضال . . وإذا كان فريق من المجاهدين قد ضحى في جهاده بالمال وآخر بالشباب فقد ضحى الاستاذ العرابي بالاثنين معاً . فمنذ ربع قرن كان هذا المجاهد المفكر على جانب من الشباب وفير وعلى ثراء من الثروة غير يسير فوضع هذا وذاك على كفه وبدأ نضاله من أجل حرية الجياع والمظلومين في وقت كان يعتبر فيه من ينادي بمثل هذه الآراء في مصر والشرق إما مخرف أو مجنون . . ويكفي مصر فخراً أن أول ما ذُكر اسمها في المحافل الدولية المتطرفة كان على يد هذا المجاهد . . . .

لقد ظل وفياً لهذه المبادىء طيلة ربع قرن من الزمان متحملاً في سبيلها عذاباً أيسره الموت جوعاً ولا مبالغة فيما أقول : فما هو كتابه تشهد فصوله فصلاً فصلاً بل صفحاته صفحة صفحة على سلسلة لا تنقطع من المحن والشدائد تزلزل الرواسي من الجبال ولكن يصمد أمامها قلب هذا الرجل وإيمانه ! لقد ظن ان هذه الآراء والمبادىء التي اعتنقها هي المفتاح الذي به تُفك قيود المحرومين والجياع والمظلومين من أبناء قومه وأي تضحية وأي عذاب يذكر بجانب هذه الغاية السامية النبيلة ؟ ! هذه هي الحرية وهذا هو طريقها . . . وانه لمن عبادها وعشاقها الذين يستعذبون في سبيلها السجن والنفي والتشريد بعيداً عن الأهل والوطن محروماً من أبسط الحقوق التي لا تضن بها الدولة حتى على المجرمين والسفاكين من رعاياها ألا وهي اعترافها بجنسيتهم . لكأن جريمة حسني العرابي في نظرها تفوق جريمة القاتل المجرم والسفاك الأثيم ! !

ولكنه قابل كل ذلك بإيمانه الذي لا يتزعزع . إيمانه بأنه الذي يحمل الشعلة المقدسة في بلده والتي يجب أن لا يتقدم لحملها إلا زند فدائي . . . ولكنه مع الأسف قد صدم في إيمانه وحسن جهاده الحصين حين رأى تلك المبادىء التي فتنها مفاتيح الحرية قد انقلبت

في أيدي الزعماء القائمين بها صلاصل تُكبل بها البقية الباقية من الأحرار . فوقف ينظر صاخراً ساخطاً الى هؤلاء الزعماء رائياً متوجعاً لتلك المبادىء التي قتلوها منفذوها وقد بلغ به الحنق مبلغاً شديداً حتى جهر بالعداء الشديد لهؤلاء الأغرار من الشباب الذين ينساقون كالعميان وقد خدعهم بريق تلك المبادىء التي تخفي فلذاً لم تعرفه أشنع أنواع الحكومات المستبدة في التاريخ . لقد هدمت حكومة الشيوعية في روسيا ذلك الايمان الذي لم تزعزعه صواعق الظلم ولم تنل منه زلازل الطغيان !

وفي هذا الكتاب الصورة الصادقة لهذه الحياة الفذة في فترة الجهاد والاضطهاد وهو لا يخلو من طرائف تستروح فيها النفس عبق العاطفة البهيج الشذى وفيه لمن أراد أن يعرف طرفاً من أعاجيب تصرفات القدر مع الأحياء في حياتهم الخاصة صور وصور ولمن أراد أن يرى كيف تكون الحقائق أغرب من الخيال مشاهد ومشاهد فهو هو حسني العرابي بين الناس يحمل جوعه وبؤسه وهو هو حسني العرابي أمام السلطات في مواقف تحور فيها العزائم ولكن عزيمته تعلو وتتسامق حتى ليستصغر القاهر نفسه أمام المقهور أو من ظن انه المقهور ... !

(ان الرجل الذي يسأل الرحمة أو يتقبلها من قوي رجل ضعيف لا يستحق الحياة ..) هكذا يقول الأستاذ العرابي وقد أضرب مئة وعشرين يوماً عن الطعام في السجن لأنهم حرموه قراءة الكتب . وصمم على الموت إلا أن يمنح هذا الحق وقد منحه . فالقراءة عنده أغلى من الحياة ... وانها لكذلك فلينظر شباب اليوم ... !

وان النفس البشرية لتختلف أنواع البشر والطبقات مجلوة في هذا الكتاب بأجزائه الثلاثة بلا أصباغ ولا أدهان بلا رياء أو نفاق ، وإنك لترى الناس تحت قلم حسني العرابي وقد عروا من أقنعة أوضاعهم الاجتماعية ... أنك ترى حقائق النفوس . وستبقى فصول خيبة وتعلة — ليله — سخرية القدر — فوقه الى الأبد وغيرها وغيرها قمة عليا للكتاب التراجم في اللغة العربية بل وكثير من اللغات ... ! في الكتاب المجاهد قدوة والمستروح قدة والمؤمن الصادق الايمان عبرة وأي عبرة . . .

محمد فريد

قلب لبنان

أمين الريحاني — صفحاته ٤١٠ مطابع صادر — ريحاني بيروت

أدّى صاحب العقل النيّر والقلم المبدع المرحوم (أمين الريحاني) للعالم العربي خدمات جُلّى بما صنّف من مؤلفات وحبّر من مقالات عرّف بها الشرق العربي الى الولايات المتحدة وانجلترا وبطريق غير مباشر إلى كل بقعة في أوربا.

وأنبه هذه المؤلفات ذكراً وأكثرها ذيوع صيت كتابه «ملوك العرب» الذي يعدّه المؤرخون سفراً خالداً أضفاه فيلسوف الفريكة على خزانة التاريخ العربي رغم ما بلاّ من مشقات الأسفار الى بلاد العرب وبه أماط اللثام عن رؤى وأطياف وأسرار لم يجلها (الأمين) ويكشف عنها الغطاء ليثبت في طيّ الكتمان ولردّ عنا الحياة ونحن في جهل من جزيرة العرب وأسرار الصحراء ومرافق الجزيرة وأصقاعها المجهولة الخالية.

و(قلب لبنان) فصول خطّها قلم العرب في وصف خمس عشرة رحلة قام بها (الأمير) الى حدود لبنان وجباله وقراه وذاكره فصوّر بها جمال لبنان وأخلاق سكانه الطيبة التي لم تبدّل منها مدنية القرن العشرين الزائفة شيئاً، وقد أوضح ناشر الكتاب صديقي الأستاذ البرت ريحاني هدف شقيقه الفقيد بكلمة خفيفة الظل صدّر بها الكتاب.

وقد مهد الريحاني لكتابه بلمحة عن مساحة لبنان وأسمائه ولغات أهله وأشار في أول فصوله الى الباعث الذي حمله على تطع الفيافي والأودية السحيقة على ظهر دابة وفي زمن كانت الأسفار محفوفة بالمخاطر وطالفات (البوزر) تلمع في كل سفح ورابية وها أنا ذا أخلي بينك وبين الرائد اللبناني الأول ليحدّثك بأسلوبه الكتابي الرائع عن ذلك النزع الذي حمله على الأسفار في (قلب لبنان) هازئاً بما يكتنف رحلته من مخاطر ورفيقه فيها (المكاري) محبوب و(بغلته) ذات الأجراس المذهبة...

«... وبعد التوكل إذن على الله، وعلى الذاكرة، أطوي من الماضي نحو ثلاثين سنة وأقف عند السنة السابعة والتسعمائة والألف (١٩٠٧) على كتف وادي القريكة لأعرّف الى القارئ شابّاً لبنانيّاً كان قد هاجر الى اميركا وعاد منها، يحمل الكتب الأدبية، لا السندات المالية، واتخذ الوادي منمكاً له، فبنى معبداً فيه، أو حسب معبداً كل مشهد من

مشاهده، بل كل مكان يقف فيه القلب مبتهجاً، والفكر مستوحياً، والروح خاشعة مطمئنة . .

وكان ذلك الشاب مشغوفاً بالكتب والكتابة، فانصرف بكل قواه وكل جنونه إليهما هجنا الانس، إلاَّ الفلاحين منهم، وما واصل نحن، إلاَّ من كان منهم نسيباً لشاعر أو صنواً لمجنون صخّاك، فظلَّ على شيء من الإنسية المؤنسة، وما ادَّعى النبوّة مرة ولا القداسة !

ولكنه رأى أن يعبد الله في المعبد الأكبر، في الفلاة، في الحقول، في الوادي، في ظلال الصنوبر والزيتون، فقال الناس إنه كافر ينكر وجود الله، وقد سمعه بعضهم يقول: « الطبيعة أبي » ويردّدها فقالوا: « إنه سيجدف على الله تعالى ! »

ويقول في موضع آخر: « ثمَّ تجلَّت لذلك الشاب حقيقة أخرى جليلة وهي إذ جبل لبنان هو الجبل المقدَّس وإنَّ أقدس ما في الجبل المقدس هو الأرز فكيف يبني العابد معبده في الوادي ويظل ابن الطبيعة مقيماً فيه ثلاث سنوات ولا يزور أقدس مكان في لبنان لا يحج الأرز ؟ هذا هو الكفر بعينه . . وقد آلى ذلك الشاب على نفسه ألاَّ يكون من الكافرين »

وكانت (رحلة الأرز) وسائر الرحلات الأربع عشرة التي قام بها (الأمين) في نجود الجبل المقدس ووهاده (لوحات) فنية رسمها الريحاني الفنان بريشة الابداع وصوَّرها تصويراً رائعاً بأسلوبه السهل الممتع الذي لا يجاريه فيه اليوم كاتب عربي. وكان من وفاء شقيقه الأستاذ البرت (أبو الأمين الثاني) ان فكَّ أغلال تلك الفصول وحررها في كتاب أخرجه حديثاً للقارىء العربي حراً أنيقاً موفقاً وقال له: « هاك بعض ما تركه شقيقي أمين من خمر معتقة في خوابيها، فأحسن ما في وسعك أن تحسو . . وكلما استنفدت هذه اللبنانية البابلية ترحم على أخي وادع الله أن يرزق أمتي كل جيل رجلاً من طرازه ! »

وإذ نكتفي بهذه اللمحة العابرة عن الأثر الريحاني القيِّم نشكر الأستاذ (أبي الأمين) مجهوده الأدبي ونرجو أن يبشر كل عام على عمي (الأمين) والمعجبين بذوب أنتجه الأدبي مما تركه مخطوطاً إذ نحسب أن كل ما ينشره الأستاذ البرت (رعاه الله) من آثار أخيه ورواثعه كسباً للخزانة العربية ومغنماً لتاريخها الحافل بمآثر (الأمين).

القدس — فلسطين اليعربي اللحام